طيرانها وذكر لى أن المنطقة التى صادفناها كانت من أكبر مالقى من الفراغ مذ ركب طيارة

وقد علق بذهنى هذا ودار فى نفسى من يومئذ فأضفته إلى ما كنت أعرف من فضل المقاومة بل ضرورتها فأنى عاجز عن تصور حياة لا يلقى فيها الحى مقاومة . وكيف تكون يا ترى هذه الحياة إذا أمكن أن توجد حياة على هذا النحو . . لا أدرى ولا أحسب أن أحداً يستطيع أن يزعم أن فى وسعه تخيلها . . ماذا يدفع فيها إلى العمل ويغرى بالسعى . . ويبعث على الطموح . . الذى هو الوسيلة إلى حفظ النوع فى الدنيا ؟ كيف يكون حينئذ ولا مقاومة هناك ولا عائق ولا صعاب ولا عراقيل ولا حواجز من العرف أو القانون أو غير ذلك . . أتراه عبثاً ومسلاة . . وكيف تكون له لذة اللهو ومتعة العبث ومزية التسلى وهو لا يمكن أن يوجد أصلا . . أم ترى ينحط فينقلب مجرد رغبة عارضة واشتهاء زائل بزوال دواعيه الوقتية . . وكيف تنشأ الرغبة وماذا يشحذ الشهوة ولا شىء هناك من قبيل الموانع

ودع الحب وانظر فى غيره واسأل نفسك ماذا عساك أن تطلب حينئذ ولا عسر هناك ولا عناء ولا خوف من حرمان لأنه لاعقبة هناك ولا صعوبة ولا مقاومة من الأحوال أو الحظ أو الناس أو التنافس أو غير ذلك مما تكون به المقاومة . .

ويطول بى الكلام إذا أنا أحببت أن أتقصى وجوه هذا الأمر : وما الداعى إلى الأطالة والمسألة واضحة . كلا لم أخسر بأن خلقت فى هذا الزمن . ولا خسر أحد شيئاً بأن خلق فى زمنه وإنما ينظر الانسان إلى ما هو مستطيع ويقيسه إلى ما يشتهى فيرى البون عظيما والبعد كبيرا والمسافة طويلة بين المطلوب والموجود ، فيتوهم أن ذلك إنما كان هكذا لأن فى الزمن عيباً وفى أحواله فساداً ، وأنه لو كان فى زمن آخر لكان حقيقاً أن يكون أمله أقرب منالا وسعيه أعظم توفيقاً . وهذا وهم كما قلت فأن رغائب الانسان فى أى زمن أكثر مما يبلغ وينال . والذى يسمح لرغبته بأن تطغى إلى هذا الحد حتى لتصور أمر الحياة على هذا النحو المقلوب تكون شهوته أقوى من إدراكه أو إرادته أو أعصابه إذا شئت

ولم ألق صديقى لأبلغه أنى غيرت رأيى أو صححته ، فهأنذا أقول له ذلك فى « الرسالة »

ابراهيم عبد القادر المازنى

صعاليك الصحافة . . .

للأستاذ مصطفى صادق الرافعى

لما ظهر كتابى (وحى القلم) حملت منه إلى فضلاء كتابا فى دور الصحف والمجلات أهديه إليهم ليقرأوه ويكتبوا عنه . وأنا رجل ليس فىّ أكثر مما فىّ ، كالنجم يستحيل أن يكون فيه مستنقع . فما أعلم فى طبيعتى موضعاً للنفاق تتحول فيه البصلة إلى تفاحة ، ولا مكاناً من الخوف تنقلب فيه التفاحة إلى بصلة . ولست أهدى من كتبى إلا إحدى هديتين : فإما التحيةُ لمن أثق بأدبهم وكفايتهم وسلامة قلوبهم ؛ وإما إنذار حرب لغير هؤلاء

والقرآن نفسه قد أثبت الله فيه أقوال من عابوه ليدل بذلك على أن الحقيقة محتاجةٌ إلى من ينكرها ويردها ، كحاجتها إلى من يقر بها ويقبلها ؛ فهىَ باحدهما تثبت وجودها ، وبالآخر تثبت قدرتها على الوجود والاستمرار . والشعور بالحق لايخرس أبداً ، فاذا كانت النفس قوية صريحة مرّ من باطنها إلى ظاهرها فى الكلمة الخالصة ، فإن قال لا أو نعم صدق فيهما . وإذا كانت النفسُ ملتويةً اعترضته الأغراض والدخائل ، فمرّ من باطن إلى باطن حتى يخلص إلى الظاهر فى الكلمة المقلوبة ، إذ يكون شعوراً بالحق يغطيه غرض آخر كالجلد ونحوه ، فإن قال لا أو نعم كذب فيهما جميعاً

***

وكنت فى طوافى على دور الصحف والمجلات أحس فى كل منها سؤالا يسألنى به المكان : لماذا لم تجىء ؟ فأنى فى ابتداء أمرى كنت نزعت إلى العمل فى الصحافة ، وأنا يومئذ متعلم ريّض ومتأدب ناشىء ، ولكن أبى رحمه الله ردنى عن ذلك ووجّهنى فى سبيل هذه والحمد لله ، فلو أنى نشأت صحافياً لكنت الآن كبعض الحروف المكسورة فى الطبع . . .

وللصحافة العربية شأن عجيب ، فهى كلما تمّت نقصت ، وكلما نقصت تمت ، إذ كان مدار الأمر فيها على اعتبار أكثر من يقرأونها أنصاف قراء أو أنصاف أميين . وهى بهذا كالطريقة لتعليم القراءة الاجتماعية أو السياسية أو الأدبية ، فتمامُها بمراعاة

قواعد النقص فى القارىء . . . وما بدُّ أن تتقيد بأوهام الجمهور أكثر مما تتقيد بحقيقة نفسها . فهى معه كالزوجة التى لم تلد بعد ، لها من رجلها من يأمرها ويجعلها فى حكمه وهواه ، وليس لها من أبنائها من تأمرهم وتجعلهم فى طاعتها ورأيها وأدبها . ثم هى عمل الساعة واليوم فما أبعدها من حقيقة الأدب الصحيح إذ ينظر فيه إلى الوقت الدائم لا إلى الوقت الغابر ، ويراد به معنى الخلود لا معنى النسيان

ولا يقتل النبوغ شىء كالعمل فى هذه الصحافة بطريقتها ، فأن أساس النبوغ (مايجب كما يجب) ، ودأبه العمق والتغلغل فى أسرار الأشياء وإخراج الثمرة الصغيرة من مثر الشجرة الكبيرة بعمل طويل دقيق . أما هى فأساسها (مايمكن كما يمكن) ، ودأبها السرعة والتصفُّح والالمام وصناعة كصناعة العنوان لاغير

فليس يحسن بالأديب أن يعمل فى هذه الصحافة اليومية إلا إذا نضج وتم وأصبح كالدولة على « الخريطة » لا كالمدينة فى الدولة فى الخريطة ، فهو حينئذ لايسهل محوه ولا تبديله . . . ثم هو بعدها بالقوة ولا يستمد القوة منها ، ويكون تاجاً من تيجانها لا خرزة من خرزاتها ، ويقوم فيها كالمنارة العظيمة تلقى أشعتها من أعلى الجو إلى مدى بعيد من الآفاق ، لا كمصباح من مصابيح الشارع

وحالة الجمهور عندنا تجعل الصحافة مكاناً طبيعياً لرجل السياسة قبل غيره ، إذ كان الرجل السياسى هو صوت الحوادث سائلا ومجيباً ، ثم يليه الرجل شبه العالم ، ثم الرجل شبه الممثل الهزلى . . والأديب العظيم فوق هؤلاء جميعاً ، غير أنه عندنا فى الصحافة وراء هؤلاء جميعاً

* * *

ولما فرغت من طوافى على دور الصحف جاءت هى تطوف بى فى نومى . فرأيتنى ذات ليلة أدخل إحداها لأهدى (وحي القلم) إلى الأديب المتخصص فيها للكتابة الأدبية ، ودلونى عليه فاذا رجل مربوع مشوَّه الخلق صغير الرأس دقيق العنق جاحظ العينين ، تدوران فى محجريها دورة وحشية كأنما أرعبته الحياة منذ كان جنيناً فى بطن أمه لأنه خلق للاحساس والوصف ، أو كأنما ركب فيه هذا النظر الساخر ليرى أكثر مما يرى غيره من أسرار السخرية فينبغ فى فنونها ، أو هو قد خلق بهاتين العينين الجاحظتين دلالة عليه من القدرة الالهية بأنه رجل قد أرسل لتدقيق النظر

وقال الذى عرَّفنى به : حضرتهُ عمرو افندى الجاحظ . . . وهو أديب الجريدة

قلت : شيخنا أبو عثمان عمرو بن بحر ؟

فضحك الجاحظ وقال : وأديب الجريدة ، أى شحاذ الجريدة ، يكتب لها كما يقرأ القارىء على ضريح ؛ بالرغيف والجبن والبيض والقرش . . .

قلت : إنا لله . فكيف انتهيت يا أبا عثمان إلى هذه النهاية وكنت من أعاجيب الدنيا ، وكيف خِبتَ فى الصحافة وكنت رأساً فى الكلام ؟

قال : نجحت أخلاقى فخابت آمالى ، ولو جاء الوضع بالعكس لكان الأمر بالعكس . والمصيبة فى هذه الصحف أن رجلا واحداً هو قانون كل رجل هنا

قلت : وذاك الرجل الواحد ما قانونه ؟

قال : له ثلاثة قوانين : الجهات العالية وما يستوحيه منها ، والجهات النازلة وما يوحيه إليها ، وقانون الصلة بين الجهتين وهو . . .

قلت : وهو ماذا ؟

فحملق فىَّ وقال : ما هذه البلادة ؟ وهو الذى « هو » . . . أما ترى الصحيفة ككل شىء يباع ؟ وأنت فخبرنى ـ ولك الدولة والصولة عند القراء ـ ألم تر بعينيك أنك لو جئت تدفع ثمانمائة قرش ، لكنت فى نفوسهم أعظم مما أنت وقد جئت تهدى ثمانمائة صفحة من البيان والأدب ؟

قلت : يا أبا عثمان . فماذا تكتب هنا ؟

قال : ان الكتابة فى هذه الصحافة صورة من الرؤية ، فماذا ترى أنت فى . . وفى . . وفى . ؟ لقد كنا نروى فى الحديث . « يكون قومٌ يأكلون الدنيا بألسنتهم كما تلحس الأرضَ البقرةُ بلسانها » فلعلَّ من هذه الألسنة الطويلة لسان صاحب الجريدة . . .

قلت : ولكنك ياشيخنا قد نسيت القراء وحكمهم على الصحيفة .

قال : القراء ما القراء . وما أدراك ما القراء . وهل أساس

اكثرهم الا بلادة المدارس ، وسخافة الحياة ، وضعف الأخلاق ، وكذب السياسة ؟ إن الابداع كل الابداع فى اكثر ما تكتب هذه الصحف ، أن تجعل الكذب يكذب بطريقة جديدة . . . وما دام المبدأ هو الكذب فالمظهر هو الهزل . والناس فى حياة قد ماتت فيها المعانى الشديدة القوية السامية ، فهم يريدون الصحافة الرخيصة ، واللغة الرخيصة ، والقراءة الرخيصة . وبهذا أصبح الجاحظ وأمثاله هم (صعاليك الصحافة)

***

ودق الجرس يدعو أبا عثمان الى رئيس التحرير ، فنهض اليه ثم رجع بعينين لا يقال فيهما جاحظتان بل خارجتان . . . وقال : أفّ ، «وحَبِط ماصنعوا فيها وباطلٌ ماكانوا يعملون» .

كلاّ والذى حرّم التزيّدَ على العلماء ، وقبّح التكلف عند الحكماء ، وبهرَجَ الكذابين عند الفقهاء ، لا يظن هذا الا من ضل سعيُه . . (١)

قلت : ماذا دهاك يا أبا عثمان ؟

قال : ويحها صحافة . قل فى عمك ما قال المثل : جَحَظ اليه عمله . (٢)

قلت : ولكن ما القصة ؟

قال : ويحها صحافة . وقال الأحنف : « أربعٌ من كنّ فيه كان كاملا ، ومن تعلّق بخَصلة منهن كان من صالحى قومه : دين يرشده ، أو عقل يسدّده ، او حَسَبٌ يصونه ، أو حياء يقناه » . وقال . « المؤمن بين أربع : مؤمن يحسده ، ومنافق يبغضه ، وكافر يجاهده ، وشيطان يفتنه : وأربع ليس أقل منهن : اليقين ، والعدل ، ودرهم حلال ، وأخ فى الله » . وقال الحسن بن على ... (٣)

قلت : يا شيخنا دعنا الآن من الرواية والحفظ والحسن والأحنف . فماذا دهاك عند رئيس التحرير ؟

قال : لم أحسن المهاترة فى المقال الذى كتبته اليوم . . . . ويقول رئيس التحرير : إن نصف التمويه رذيلة ؟ فأن نصفه الآخر يدل على أنه تمويه . ويقول : إن سمو الكتابة انحطاط فصيح ، لأن القراء فى هذا العهد لا يخرجون من حفظ القرآن والحديث ودراسة كتب العلماء والفصحاء ، بل من الروايات والمجلات الهزلية . وحفظ القرآن والحديث وكلام العلماء يضع فى النفس قانون النفس ، ويجعل معانيها مهيّأة بالطبيعة للاستجابة لتلك المعانى الكبيرة فى الدين والفضيلة والجد والقوة ؛ ولكن ماذا تصنع الروايات والمجلات وصور الممثلات والمغنيات وخبر الطالب فلان والطالبة فلانة والمسارح والملاهى ؟

ويقول رئيس التحرير : إن الكاتب الذى لا يسأل نفسه مايقال عنى فى التاريخ ، هو كاتب الصحافة الحقيق ، لأن القروش هى القروش والتاريخ هو التاريخ . ومطبعة الصحيفة الناجحة هى بنت خالة مطبعة البنك الأهلى . ولا يتحقق تسبُ ما بينهما الا فى إخراج الورق الذى يُصرَف كله ولا يرد منه شىء

إنهم يريدون إظهار المخازى مكتوبة كحوادث الفجور والسرقة والقتل والعشق وغيرها ؛ يزعمون أنها أخبار تروى وتقص للحكاية أو العبرة ، والحقيقة أنها أخبارهم الى أعصاب القراء . . .

***

ودق الجرس يدعو أبا عثمان الى رئيس التحرير . .

لما بقية (ملخا)

مصطفى صادق الرافعى

(١) هذه الجملة من كلام الجاحظ

(٢) يريدون أنه اذا نظر في عمله رأى سوء ما صنع

(٣) هذه طريقة الجاحظ يخلط الكلام دائما بالنقل

كتب بقلم محمد عبد الله عنان

تحقيقا لرغبة الكثيرين لعيد الفرصة المخفضة لبيع الكتب الثلاثة الآتية لمدة شهر فبراير

مصر الاسلامية

ثمنه ١٥ قرشا ويباع بـ ١٠ قروش أى بتخفيض ٣٣ ٪

قصص اجتماعية

ثمنه ١٠ قروش ويباع بـ ٦ قروش أى بتخفيض ٤٠ ٪

ابن خلدون حياته وتراثه

ثمنه ٨ قروش (مجلداً بالكرتون)

وثمن الثلاثة كتب معاً ٢٠ قرشاً أى بخصم ٤٠ ٪

هذا البريد وهو للثلاثة خمسة قروش داخل القطر وعشرة خارجه

والكتاب الواحد ثلاثة للداخل وخمسة للخارج وتطلب من إدارة الرسالة

ومكتبة النهضة بشارع المدابغ وجميع المكاتب الشهيرة